الاتجاه الاجتماعي في رواية "دعاء الكروان" لطه حسين

The social aspect in novel "The call of Curlew" by Tahaa Hussain

Dr. Amin Ali
E&S Edu (KP)
PhD Arabic, National University of Modern Languages – Islamabad
E-mail: alimudassir1984@gmail.com Orcid: https://orcid.org/0000-0001-7543-9489

Dr. Syed Yasir Ali
Lecturer, Arabic Department
National University of Modern Languages – Islamabad
E-mail: syali@numl.edu.pk Orcid: https://orcid.org/0000-0002-2801-4020

Abstract

The Egyptian writer and dean of Arabic literature, Tahaa Hussain, is an encyclopedic personality. He wrote books and exerted his efforts in modern Arabic literature, especially in social issues. He transferred the days and nights of his life on paper in a wonderful and graceful style. He earned the title of pioneer of the modern Arab autobiography, in which he collected what he had and what he had to do with all sincerity and frankness in the form of a novel, and from here his novelist character emerged. He has several novels that indicate social issues and their problems in Egyptian society in particular and in Arab society in general. He mentioned positive and negative ideas about society, and highlighted various social issues that highlight many aspects for the individual and society in their daily lives.

Among his most prominent novels: "The call of Curlew", which he drew from the reality of Egyptian society, which indicates the various tendencies of Egyptian society, including oppression and injustice, treachery and violation, destitution and travel, revenge, the deprivation of women's rights in society and their injustice, and images of poverty, misery and loss in the words of the girl Amna. (The heroine of the novel), who later changed her name to Souad.

***Keywords**: Tahaa Hussain, The call of Curlew, social aspect, novel, Egypt.*

الحمد لله الذي أنزل قرآنه عربياً وجعله معجزة بين الخطباء والشعراء، والصلاة والسلام على محمد المجتبى أحمد المصطفى الذي جعل حب اللغة العربية وأهلها شعار أهل الجنة، أما بعد

الأديب المصري وعميد الأدب العربي طه حسين شخصية موسوعية، ألف الكتب وبذل جهوده في الأدب العربي الحديث لا سيّما في القضايا الاجتماعية، ونقل أيام حياته ولياليها على لوح القرطاس بأسلوب رائع ورشيق، ونال لقب رائد السيرة الذاتية العربية الحديثة، التي جمع فيها ما له وما عليه بكل صدق وصراحة بشكل الرواية، ومن هنا برزت شخصيته الروائية، وله

عدة روايات تدل على القضايا الاجتماعية ومشاكلها في المجتمع المصري خصوصاً وفي المجتمع العربي عموماً، قد ذكر فيها أفكارا إيجابية وأخرى سلبية عن المجتمع، وسلط الضوء على القضايا الاجتماعية المختلفة التي تبرز لنا اتجاهات عديدة للفرد والمجتمع في حياتهم اليومية.

من أبرز رواياته: "دعاء الكروان" التي استقاها من واقع المجتمع المصري، والتي تدل على اتجهات مختلفة للمجتمع المصري من القهر والظلم، والغدر والانتهاك، والعوز والترحال، والانتقام والثأر، وانتقاص حقوق المرأة في المجتمع وظلمها، وصور الفقر والبؤس والضياع على لسان الفتاة آمنة (بطلة الرواية) التي غيرت اسمها لاحقاً إلى سعاد. فالبحث حول الاتجاه الاجتماعي في "دعاء الكروان" يتضمن الهيكل التالي:

- **التمهيد**، وفيه محوران:
  - المحور الأول: نظرة سريعة على حياة د. طه حسين.
  - المحور الثاني: أدبه الروائي.
- **المبحث الأول: ملخص رواية دعاء الكروان.**
- **المبحث الثاني: الاتجاه الاجتماعي وقضاياه في دعاء الكروان.**
- **نتائج البحث.**

التمهيد:

المحور الأول: نظرة سريعة على حياة د. طه حسين:

ولد طه حسين بن حسين علي في قرية صغيرة (الكيلو) تقع بمحافظة المنيا التي تقع على جانب الأيسر من النيل في نوفمبر، ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩ م.[١] وكان طه حسين السابع من بين أبناء أبيه الثلاثة عشر. أصيب بمرض في عينيه في سن مبكرة عندما كان ابن الخامسة أو الثالثة من عمره، وبسبب انعدام الوسائل وبشيء من الجهل والإهمال من أهله فقد بصره.[٢] كان طه حسين رغم فقدان بصره آية في الذكاء والحفظ، حفظ القرآن الكريم في مدة قصيرة، وحفظ بعض المتون المهمة وكتب من الأشعار تأهيلاً للالتحاق بالأزهر الشريف،[٣] والتحق بالأزهر الشريف في سنّ الثالثة عشرة عام ١٩٠٢ م، وبعد أربعة أعوام من الجهد التحق بالجامعة المصرية القديمة، فدرس فيها التاريخ والمصطلحات الفلسفية، وبذل جهوده في تعلّم اللغة الفرنسية، وقدم رسالة الدكتوراه عام ١٩١٤م المعنونة بـ (ذكرى أبي العلاء المعري)، للمشابهة بينهما في فقدان البصر في الطفولة،[٤] وزار طه حسين فرنسا، وحصل على درجة الليسانس ودرجة الدكتوراه عام

١٩١٧م، وتزوج الطالبة الفرنسية (سوزان) الكاثوليكية.[٥] عاد إلى مصر عام ١٩١٩م، وعين أستاذاً في التاريخ، وله عدة مؤلفات في الموضوعات التاريخية والفلسفية والأدبية، وكانت حياته حافلة بالكفاح ضد السياسيين والأدباء والعلماء، حتى توفي عن عمر يناهز ٨٤ سنة عام ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

المحور الثاني: أدبه الروائي:

حاول طه حسين أن يزدهر العقل العربي المعاصر ويمزجه بالأفكار الغربية الحديثة، فوضع أول لبنةً في التقدم والنهضة والسعي تجاه الأفكار الأدبية الحديثة والحياة الفكرية الاجتماعية، فامتازت قصصه ورواياته بتسليط الضوء على المسائل الاجتماعية، من الفقر والظلم والتخلف والبؤس، فيما يلي نذكر بعض رواياته الاجتماعية، منها:

أولاً- أحلام شهرزاد: رواية أحلام شهرزاد تأخذ بلب القارئ وعقله بمكوناتها الفلسفية والحوارات بين الشخصيات العاطفية والأفكار السياسية، قد أبدع فيها الكاتب في محاولة تناول أسطورة شهرزاد (ألف ليلة وليلة) بأسلوب بديع وبطريقة غير مسبوقة، فيأخذ الكاتب بيد القارئ وينتقل به من عالم اليقظة إلى عالم الخيال، إلى عالم أحلام شهريار، وأحداثه من قصة ملك الجن وابنته، ومع ذلك يسلط الكاتب الضوء على المشاكل الاجتماعية من الظلم والفقر والبؤس في عصره.[٦]

ثانياً- شجرة البؤس: من أشهر روايات طه حسين بعد دعاء الكروان، عرض فيها طه حسين صورة حية كاملة لأسرة مصرية تعاقب فيها ثلاثة أجيال مختلفة، أعدّوا لظهور صراعٍ عنيفٍ بين الأمثلة العليا للعلم والعقل والتقاليد البالية والعنيفة، وتسلط الرواية الضوء أثناء الأحداث على الطبقة المصرية الفقيرة التي تعاني البؤس في حياتها اليومية، واعتقاداً في التوكل والقضاء.[٧]

ثالثاً- أديب: في هذه الرواية يسرد الكاتب قصة الشاب العبقري – إبراهيم - فقيد البصر، الذي كان يعشق الأدب والفن حباً شديداً، وكان عشقه الثاني فتاة جميلة، لكن رفضت حبه بسبب فقدان بصره، حتى تزوج بالفتاة المسماة بحميدة التي أحبته ورضيت به، لكن حصل على منحة للتعليم العالي في فرنسا على شرط أن يكون المتقدم غير متزوج، فطلق زوجته لأجل المنحة، وسافر إلى باريس، كان يعيش في باريس في إحساس من الذنب الذي يضطره إلى تطليق المرأة التي أحبته على الرغم من فقدان بصره، فكأن هذه الرواية سيرة ذاتية لإبراهيم بطل الرواية،

وهي في الأصل (رواية سِيَر ذاتية) للأديب طه حسين.[٨]

رابعاً– رجل شرقي في باريس (صوت باريس): هذه الرواية صورة مقارنة بين البيئات الشرقية والغربية، خصوصا ملامح الحياة الجديدة في فرنسا والحياة القديمة التقليدية بمصر، حيث انتقل فيها الرجل الشرقي إلى فرنسا لطلب الأدب والفن، لكن جرّب كثيراً وتجرع جرعات مختلفة للحياة الملونة بألوان الجدة والحرية والانطلاق، فتجاوزت تجربته من مجال العلم إلى أبعاد حضارية وثقافية وعاطفية وجسدية، فيمثل الكاتب صورة الحب في البيئتين الشرقية والغربية.[٩]

خامساً– الحب الضائع: هذه من أقصر روايات طه حسين، قصة الرواية تدور حول صديقتين فرّقهما في النهاية حب رجل واحد، فهذه الرواية تسلط الضوء على الحرمان والضحية، على الحب والضياع، حيث تزوج صديقة برجل انتقلت معه إلى تونس وتوفي هناك، فصممت الصديقة الأخرى على دعوتها للانتقال إلى ريف مصر والعيش مع أسرتها، كي تخفف وحدتها؛ لكن تعلقت الصديقة بزوجها بعد مجيئها من تونس، فهذا الحب وضع جميع الأسرة في مواجهة صعبة وامتحان مرّ مع الصداقة والزواج.[١٠]

سادساً– دعاء الكروان: من أشهر روايات طه حسين رواية دعاء الكروان التي تسلط الضوء على حياة المصريين في طوائف مختلفة من البدو والبادية والريف، وعلى الكفاح في الحياة اليومية للموظفين والفلاحين وعلى الظلم والجور والتخلف والفقر والبؤس وعدم المساواة في المجتمع المصري،[١١] وقد قدمت الرواية في صورة فيلم سينمائي، عُرض لأول مرة عام ١٩٥٩م، ويعدّ من أفضل الأفلام التي قدمتها السينما المصرية.

وكذلك يمكننا أن نعد سيرته الذاتية (الأيام) التي تحتوي ثلاثة أجزاء من باقة رواياته، لأنها سيرة بأسلوب الرواية حيث يسرد أحداث حياته بأسلوب روائي يلفت الأنظار،[١٢] وكذلك رائعته عن السيرة النبوية المسماة بـ (على هامش السيرة) التي تتضمن ثلاثة أجزاء، نجد فيها ألوان القصة والرواية في سرد أحداث السيرة النبوية، وسرد أحداث الشخصيات المتعلقة بها، فمادة رائعته هي القصص التي تجمعها في باقة رائعة بصبغة الرواية.[١٣]

المبحث الأول: ملخص رواية دعاء الكروان

الرواية الخالدة التي سماها عميد الأدب العربي الحديث بدعاء الكروان، تحتوي على خمسة وعشرين فصلا، ودعاء الكروان دعاء الطائر الشجي الذي يغرد ويدعو كل ليلة الفتاة آمنة

ويشجعها على الثأر والانتقام، الانتقام من الخال الذي قتل أختها هنادي، والانتقام من العاشق الذي دمر حياتها، وتركها معرضةً للقتل، الانتقام من الأم الضائعة التي رضيت بقتل ابنتها المسكينة، الانتقام من المجتمع الذي وضع الطبقات وهيّأ الظروف والأحوال، وفرّق بين الأمير والعبد، بين الغني والفقير، بين الذكر والأنثى، بين المدينة والريف.

تناولت الرواية صورةً بشعةً للمجتمع الذي تولّى انتقاص المرأة وحقوقها، وظلمها، وانتقدت الرواية المجتمع المصري خصوصاً والشرقي المحافظ والملتزم عموماً الذي يجعل المرأة بمثابة عورة وستر يلزم احتجابها عن العالم كله، ويريد أن ينتقص من قيمتها في المجتمع، فيحكي لنا طه حسين قصة معاناة المرأة في صور مختلفة، في صورة الأم، وفي صورة الأخت، وفي صورة الخادمة، وفي صورة الزميلة، وفي صورة المنتقمة، تبدأ الرواية باسترجاع الوقائع والأحداث، حيث نجد الفتاة سعاد – وهي في الأصل آمنة بطلة الرواية – في منزل واسع، وتتخيل الفتاة أثاث المنزل وهي تملكه، ثم تتحول الأحداث إلى الأم زهرة، وابنتها الكبرى هنادي، وابنتها الصغرى آمنة، هذه العائلة صارت معرضةً لأمواج الفقر والنفي والبؤس والضياع؛ بسبب فساد الأب الذي تعرض من قبلُ للقتل غيلةً؛ ساعياً وراء شهواته وأهوائه.

فغادرت العائلة مسقط رأسها – بني وركان– واضطرت النسوة الثلاثة إلى المغادرة بسبب فضيحة قتل الزوج والأب بعد ضغط الناس –وهم أهلهم وأولياوهم– عليهن، فغادرت زهرة مع ابنتيها القرية تجاه وجهة غير محددة، ومن دون أي قصد وخطة، حتى وصلت زهرة مع ابنتيها إلى المدينة واستقرت فيها مع فرق جلي بين حضارة المدينة والقرية، وبون بعيد بين ثقافتيهما، فاضطرت النسوة الثلاثة بسبب الفقر والحالة المزرية السيئة أن يعملن خدماً في بيوت مختلفة، فزهرة كانت تعمل في بيت يشبه بيت الفلاحين، وهنادي الأخت الكبيرة كانت تعمل في بيت مهندس شاب كان ناظر الري، خدع المهندس هنادي بحبه الخادع، فغرّرت بحبه وسلمته عرضها وجسدها، أما آمنة فكانت تعمل في بيت مأمور المركز –شرطي الأمن– وكانت مصاحبة لخديجة ابنة المأمور في اللعب والدراسة وحتى الأكل والنوم في نفس غرفتها، فكانت آمنة أحسن حالاً من الأم والأخت، وكانت العائلة تجتمع كل أسبوع في بيت حقير يتضمن غرفة واحدة، وتشارك كل واحدة منهن الأخبار عن أعمالها، وتتباهى آمنة بالدراسة واللغة الفصحى ومصاحبة خديجة ابنة المأمور.

وقعت الداهية على العائلة عندما أخبرت هنادي أمها عن الاغترار والخداع، فأمرت الأم

ابنتيها بالرحيل مرة أخرى عن هذه المدينة التي ألحقت بهن العار الدائم، فاضطرت آمنة بالرحيل وكان قلبها معلقاً بخديجة وببيت المأمور، ووصلت النسوة الثلاثة إلى قرية صغيرة في طريقهن تجاه قريتهن، ولجأن إلى بيت عمدة القرية، والتقين بثلاث نسوة (زنّوبة، وخضرة، ونفيسة) ولكل واحدة منهن شأن في حرفتها ومهارتها، وبعد بضعة أيام أخبرت الأم شقيقها ناصر بكل ما حصل لابنتها الكبرى هنادي، وقرّرت الأم زهرة وأخوها ناصر قتل هنادي؛ كي يغسل العار الدائم الذي ألحقته بالعائلة والقبيلة وقرية بني وركان، ولبّى الخال نداء الشقيقة، وجلب معه بعض الهدايا على جملين تجاه بيت العمدة، وعندما رأت آمنة خالها من بعيد، تخيلت صورة الشيطان في خالها لكراهتها إياه، وحمل الخال ناصر العائلة المسكينة معه على الجملين، ورحل تجاه بني وركان، وفي الطريق انتهز الفرصة وقتل هنادي في مكان بعيد قفر، أثناء صوت الكروان الحزين، ودفنها في حفرة أعدها قبل مجيئه بيت العمدة، وقد أمر الخال زهرة وآمنة بنسيان هذه الحادثة إلى الأبد بصوتٍ رهيبٍ جامدٍ، وعاد بأخته زهرة وابنتها الصغرى آمنة إلى قبيلته، لكن بعد هذه الداهية والحادثة المخططة تمردت آمنة على خالها ناصر وأمها وعادات بني وركان، فقررت بعد مرض طويل الانسحاب من القرية والفرار تجاه بيت المأمور؛ لأنها كانت تعرف أن خالها وأمها لا يمكن لهما الوصول إليها لمشاركتهما في قتل أختها هنادي، فانتقلت من قرية إلى أخرى ومن بيت إلى بيت، ومن خدمة أهل إلى آخر حتى وصلت بيت المأمور، وكانت خديجة دائما منتظرة رجوعها، ومرة أخرى اشتركت الاثنتان في الدراسة وحب الثقافة والقراءة، وقعت حادثة مفاجئة حيث خطب المهندس خديجة، وكان المأمور وزوجته محظوظان به، لكن وقعت آمنة في حيرة شديدة هل تخبر زوجة المأمور عن كيد المهندس وإصداراته في طرق الحب أم لا؟ ثم قررت أخيراً وأخبرت زوجة المأمور، وقصت عليها من البداية إلى النهاية، ونجحت في إلغاء الزواج، ومرة أخرى نجد آمنة في طريق تجاه بيت زنوبة؛ لأن آمنة كانت كاتمة للغيظ ونار الانتقام في صدرها، ووجدت آمنة عملا في بيت كانت أمها تعمل فيه سابقاً، وكانت ترقب الوصول إلى جذور بيت المهندس كي تنتقم منه، وتخطط لشأنها مراراً وتكرارً، وأخيراً حالفها الحظ، ووجدت عملاً في بيت المهندس، فالتهبت أشعة نار الثأر والانتقام في قلبها؛ رغم ذلك هدّأت نفسها وغيرت اسمها، فالآن صارت آمنة سعاداً، فمن اليوم الأول حاول المهندس أن يفوز منها بما حصل من أختها والفتيات الأخرى، لكن صمدت آمنة (سعاد) ضد هوى المهندس، وبدأت حرب صامتةٌ بين المهندس وسعاد، حتى انتهت الحرب بعد أن تعددت ألوانها، وطالت زواياها بانهزام المهندس وبانتصار سعاد، لكن في الحقيقة هزيمة المهندس كانت انتصاراً له، وانتصار سعاد صار هزيمةً لها،

حيث وقع كل واحد منهما في حب الآخر، وقررا الزواج، وانتقلا من هذه المدينة إلى العاصمة القاهرة.

انتقد النقاد طه حسين وروايته دعاء الكروان؛ بأنها انتهت بأحداث غير واضحة، حيث أشار إليها فقط في بداية الرواية بأسلوب الاسترجاع الفني؛ ولكن على الرغم من ذلك تعدّ الرواية من أشهر الروايات العربية الحديثة، وفازت بمكانة مرموقة في قائمة الروايات الاجتماعية.

المبحث الثاني: الاتجاه الاجتماعي وقضاياه في رواية دعاء الكروان

عانى المجتمع المصري في القرنين الماضيين التاسع عشر والعشرين كثيرا من القضايا الاجتماعية والسياسية، خاصة خلال الاستعمار البريطاني والفرنسي، فاهتم بهذه الظاهرة الاجتماعية كثير من الشعراء والأدباء، فصوروا لها صورا عديدة شعراً ونثراً، وعبّروا عن المجتمع المصري في إنتاجهم لمحاولة إنهاض المجتمع المصري ونبذ تقاليده القديمة الجافة، وتقدم الأدباء، فبذلوا جهودهم في معالجة تلك القضايا الاجتماعية خلال رواياتهم وكتاباتهم، ومن أهمها: قضية المرأة وتعليمها، والظلم والتخلف في المجتمع،(١٤) فرسم لنا طه حسين صورة المجتمع المصري في ألوانه المتعددة، ونبّه على القضايا والمشاكل الاجتماعية وحلولها، فلم يترك قضية مبهمةً إلا وقد بيّن وأوضح ملامحها، وعدّ لها أسباباً، وحاول إنهاض المجتمع من جديد على خطوط المساواة والعدل من خلال رواياته وكتبه، فأوقف طه حسين مجتمعه على أن الفقر والجهل من أهم العوامل المسببة لانتشار الرذائل والانحلال الخلقي، وأوضح بأن معظم المشكلات الاجتماعية مسببة بقسوة الظروف الاقتصادية.(١٥) وفيما يلي سنسلط الضوء على بعض الاتجاهات الاجتماعية التي تناولها الأديب الكبير طه حسين.

أولاً– المرأة والمجتمع المصري:

كانت المرأة منذ القدم في معظم المجتمعات القديمة والحديثة معرضةً للانحطاط والتخلف، فكانت مقيدة ومضطهدة في المجتمع، أما الإسلام فقد سبق في منحها حقها في حياتها العائلية والاجتماعية، ولا يخفى هذا على ذوي الألباب والعقول، رغم ذلك بقيت المجتمعات الشرقية على بعض تقاليدها الجافة التي تجعل المرأة متخلفة في المجتمع، أما في العصر الحديث فقد ظهرت الحركات المختلفة المنتقلة من الغرب في قضية المحافظة على حقوق الإنسان خصوصاً في تحرير المرأة، وكان طه حسين متأثراً تأثراً شديداً بالمجتمع الغربي وظواهر حياته الاجتماعية، فتناول

طه حسين قضية المرأة ومكانتها في المجتمع المصري في معظم رواياته، فسلط الضوء على ألوان مختلفة لمكانة المرأة؛ لأن المرأة هي مرآة المجتمع، ففي رواية دعاء الكروان نجد أن المرأة في الأرياف والقرى المصرية متخلفة جدا وفي أسواء الحال، معرضةٌ للظلم من قبل الزوج والقبيلة، كما كانت زهرة أم آمنة وهنادي، وقد تكون معرضةً للتضحية بها في سبيل استرجاع شرف القبيلة، كما قُتلت هنادي لمحو العار، وكذا آمنة ضحت مرة لأجل أختها هنادي، ومرة لأجل صديقتها خديجة، وقد تكون معرضةً للفقر والبؤس كما كانت النسوة الثلاثة (الأم زهرة وابنتيها هنادي وآمنة) حتى وصل بهن الأمر إلى العمل في بيوت الناس، وإلى قتل هنادي على يد خالها ناصر.(١٦)

ثانياً– الحياة الريفية في مصر وحقوق الفلاحين:

من أهم القضايا الاجتماعية التي تتعلق بالطبقة العاملة في المجتمع الريفي بمصر هي حقوق الطبقة السفلى العاملة؛ بسبب الحكم المسطر على الأرض في صورة الفلاحين، وقد جرت محاولات وإجراءات عديدة عبر التاريخ الإنساني لتحرير الفلاح من أسر النظام الإقطاعي.(١٧)

ارتسم طه حسين في روايته (دعاء الكروان) حياة أهل الريف والبادية في طوائف شتى من الفلاحين والموظفين، وكذا صور لنا حياتهم داخل البيوت وخارجها، فرسم لنا صورا للفلاحين من بني وركان مسقط رأس آمنة، وتخلفهم في حياتهم اليومية، وحرمانهم من التسهيلات الأساسية، حتى صور صورة بيت التاجر لإنتاج المواد الزراعية، حيث كانت آمنة تعمل فيه بعد هربها من بني وركان، وذكر بدقة ملامح أهل البيت وأعماله التي تشبه أعمال الفلاحين.(١٨)

ثالثاً– الجهل والقهر والظلم:

من المشاكل الاجتماعية التي واجهها معظم البلاد والشعوب والأشخاص هي: مشكلة الجهل والقهر والظلم، فهي تعد من المشاكل الاجتماعية العالمية، وعانى منها المجتمع المصري آنذاك، وكان المجتمع يحمل النقائص النفسية من التواكل والكسل، وكانت تتحكم فيه طبقة من أدعياء الدين الذين يستغلون المجتمع، ويسير الناس خلف أوهام كثيرة ومعتقدات فاسدة حول الأولياء وكراماتهم وقدراتهم على نفع الخلق وضررهم، وغيرها من المتعقدات الضارة بكيان الأمة السليمة ومقوماتها وأسسها الحنيفة.(١٩)

حيث يكتب د. بياز خباز في هذه الظاهرة عن المجتمع المصري: "وكانت تندرج المعتقدات الخرافية الكثيرة الشائعة في مصر وشبه القارة، كان الناس يؤمنون بالنجوم، وكانوا يذهبون إلى العرّافين، ويعتقدون على ما يقولون عن حياتهم في المستقبل، وكذلك كان الناس يعتقدون بعلاقة الناس بالعالم السفلي والجن والعفاريت.(٢٠)

تناول طه حسين هذه الظواهر مراراً وتكراراً في دعاء الكروان، حيث يسرد؛ بل يبني قصة روايته على قضية الجهل المسبب تجاه الظلم والقهر في المجتمع المصري، كما نجد بأن الأم زهرة نُفيت ظلماً مع ابنتيها آمنة وهنادي من بني وركان؛ بسبب مجون زوجها رغم كراهتها له، ثم قُتلت هنادي على يد خالها، ثم تعرّضت آمنة للظلم مراراً، منذ أن كانت تعمل في بيت المأمور، إلى النهاية عندما صارت تعمل في بيت المهندس.(٢١)

رابعاً– الفقر والطبقات في المجتمع:

هناك طبقات مختلفة في كل مجتمع وبيئة، فقضية الفقر تتعلق بالطبقة السفلى، أي الطبقة العاملة، رسم الشعراء والأدباء في هذا الاتجاه كثيراً، فقدموا نفوسهم للجهاد ضد هذه القضية الخطيرة، فدعوا إلى إعانتهم وإلى المساواة في المجتمع والعدل بين الطبقات، حتى حضّوا على الإحسان والإعطاء لهذه الطبقة العاملة تحضيضاً واسعاً، ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية الفروق الطبقية في العالم كله، وفي تلك الفترة ظهرت ضدها الدعوات الإصلاحية، ولذا تناول طه حسين هذه القضية الخطيرة في رائعته: (المعذبون في الأرض) (٢٢) التي تتضمن سلسلة مقالاته، فدعا إلى العدل الاجتماعي دعوة واضحة جلية.(٢٣)

رسم لنا طه حسين قضية الفقر في صورة التفاوت الطبقي خلال روايته (دعاء الكروان)، فرسم لنا الطبقات الريفية والمدنية مقارنة في حياتهم اليومية، وخاصة في أعمال هذه الطبقة العاملة، كما نجد الأم (زهرة) مع ابنتيها هنادي وآمنة يعملن في بيوت الآخرين، ويواجهن أسوأ ظروف الحياة من الظلم والتخلف والبؤس، والغربة. يمثل طه حسين أثناء هذه الرواية صورة كفاح لهذه الطبقة الفقيرة البائسة الكادحة، وجهودها ضد مشاكل الحياة، ويقارن الكاتب بين الشخصيات الريفية والمدنية في متطلبات الحياة اليومية، خاصة في صورة زنوبة ونفيسة وخضرة.(٢٤)

خامساً– العوز والترحال:

الرحلة والترحال من مستلزمات الحياة الإنسانية، وللترحال أسباب ودوافع عديدة، أما الترحال والانتقال من بلد إلى آخر بسبب تعويض العوز والفقدان، وهرباً من الفقر والنقص، أو العار؛ فقد تناول طه حسين هذه الظاهرة في روايته بألوان عديدة، منها: ترحال الأم زهرة مع هنادي وآمنة تجاه مدينة مجهولة بعد مقتل زوجها لمجونه، وكان ذلك سببا في نفيهن من مسقط رأسهن، ثم ترحال الأم زهرة مع ابنتيها مرة أخرى بعدما حدث لهنادي مع المهندس، وكانت آمنة كارهة لهذا الترحال بسبب تعلق قلبها ببيت المأمور وابنته خديجة، ثم الترحال الثالث لآمنة من بني وركان تجاه المدينة التي يقع فيها بيت المأمور وخديجة، وكان الطريق مليئاً بالصعوبات والمشاكل، ثم ترحالها تجاه قرية زنوبة بعد أن أفشت سر المهندس أمام زوجة المأمور، ثم ترحال عائلة المأمور بعد إلغاء الزواج من المهندس، ثم رجوع آمنة إلى المدينة للعمل في بيت المهندس، وأخير عندما ظهر أمر الحب بينها وبين المهندس وقع انتقالهما من المدينة تجاه القاهرة إلى بيت أبي المهندس، ولكل انتقال وترحال سبب؛ إما الفقر أو العار والعيب، وإما أو الشعور بالنقص في القرية أو البعد عن الأشرار.(٢٥)

سادساً– تعليم المرأة:

في عام ١٩٣٤ م قامت الحركة التعليمية في مصر للتشجيع على التعليم عموماً وتعليم المرأة على الخصوص، فأقيمت المدارس في أنحائها المختلفة على يد المعلمين والكتاب، وأنفقت الحكومة ملايين الجنيهات المصرية، وصدر قانون تشجيع التعليم الابتدائي، ووضعت أسس هذه المدارس والكليات في القرى والمدن، وافتتحت المدارس لتدريس الموظفين الاجتماعيين؛ فلذا اتسع نطاق التعليم وانتشر في مدن مصر وقراها على نظام واسع.(٢٦)

وكان طه حسين من الرواد الذين قاموا بدور اجتماعي وسياسي واسع وكبير في إنهاض المجتمع المصري وتنوير العقلية المصرية خصوصاً والعقلية العربي عموماً، وقد ارتبطت به دعوة مبكرة من أجل مجانية التعليم في المجتمع المصري ريفاً ومدينةً، وكانت دعوته لمجانية التعليم تحت شعار: (العلم كالماء والهواء لكل إنسان)، ومن أفكاره أن المرأة نصف المجتمع وأساس البيئة المنزلية، فلذا ناضل مع غيره من المناضلين في سبيل تحرير المرأة وإعطائها حقوقها الأساسية، التي من أهمها التعليم.

تناول طه حسين هذه القضية الاجتماعية الهامة في روايته، حيث يصور لنا صورة بشعة لأهل الريف في تخلفهم تعليمياً، حتي لا يفهم ولا يتقن أحدهم اللغة الفصحى، وكذا يلمح إلى أهمية تعليم المرأة عندما يسرد عن آمنة مع خديجة بنت المأمور، واشتراكهما في المناقشات العلمية قبل ترك آمنة لبيت المأمور والمدينة، وكذا عندما ترجع آمنة بعد غيابها شهوراً إلى بيت المأمور فتجد خديجة تدرس اللغة الفرنسية، وتعجب بها آمنة، وكذا ولع آمنة بالكتب، عندما تجد كتاب (ألف ليلة وليلة)، وشوقها تجاه القراءة والتعليم.(٢٧)

سابعاً– الثأر والانتقام:

الثأر والانتقام من أهم الظواهر الاجتماعية، ولم يكتف ضرره إلى شخص أو شخصين بل توسع نطاقه إلى العائلة، والقبيلة، والشعب والبلد، حتى تسبب بنشوب الحروب وسفك الدماء وإحراق البلاد، تناول طه حسين هذه القضية الاجتماعية، بل إن الثأر والانتقام أساس روايته دعاء الكروان، حيث تبنى أحداث الرواية عليها، والكروان دائما يوقظ آمنة ويحرضها على الانتقام، فنجد في الرواية ألوانا من الثأر والانتقام، حيث انتقمت آمنة من الأم والخال ناصر بترك القرية، وانتقمت مرة من المهندس بإلغاء زواجه بخديجة عندما أفشت آمنة سر المهندس، ومرة أخرى بعدم الاعتناء به، حتى هذا الثأر والانتقام صار سببا للثورة التي وقعت في حياة المهندس، وانقلب الأمر، الخادمة صارت مالكة، تملك قلبه ومنزله وكل ما فيه، فكأن طه حسين يلمح بأن الانتقام قد يكون بالجزاء بالمثل، وقد يكون بالتسلط والتملك على كل ما يملكه الظالم، وكذلك أفضل أنواع الانتقام الانسحاب من البيئة، وتطوير النفس، وجعلها مقتدرة على المواجهة.(٢٨)

ثامناً– الانحطاط الأخلاقي والتخلف الفكري في المجتمع:

قضية الانحطاط الأخلاقي والتخلف الفكري تعد تحت أهم الاتجاهات الاجتماعية المصرية الهامة، فالانحطاط الأخلاقي والتخلف الفكري يصيران نتيجة للتزلزل في كثير من المبادئ والقيم الاجتماعية، ففي النصف الأخير للقرن التاسع عشر اهتزت هذه القيم والثوابت، وظهرت بسببها كثير من المفاسد الاجتماعية، فهنا تقدم الأدباء واهتموا بهذه القضية الخطيرة.(٢٩)

تناول طه حسين هذا الاتجاه غير مرة في كتبه ورواياته؛ لأنه كان من الرواد الذين جاهدوا ضد الانحطاط الأخلاقي والتخلف الفكري في المجتمع المصري مدناً وقرىً، كان يريد أن يكون

المجتمع المصري مزدهراً متقدماً على أسس المجتمعات الأوربية، ولذا رسم صوراً مختلفة في روايته لهذه الظاهرة، حيث نجد من بين أحداث الرواية: إخراج الأم زهرة وابنتيها المسكينتين ونفيهن من القبيلة والقرية من دون أي سبب وقع منهن، وكذا نجد لون الاغترار والخداع من المهندس وهذا من أسوأ ألوان الانحطاط الأخلاقي، وكذا الفرق الطبقي بين تعليم البنين والبنات في البيت الذي كانت تعمل فيه آمنة بعد هروبها من الأم والخال، وكذا الأحوال الواقعة والكلمات الصادرة من زنوبة تدل على الانحطاط الأخلاقي والتخلف الفكري.(٣٠)

أهم النتائج

طه حسين شخصية موسوعية، له كتب ومؤلفات في مجالات مختلفة للأدب، وقد بذل جهوده في سبيل تنوير العقل المصري العربي في مجال السياسة والاجتماع، ولذا نجد باقة لرواياته حول الاتجاهات الاجتماعية المختلفة، على رأسها رائعته دعاء الكروان، وتعد هذه الرواية من أفضل الروايات العربية، عرضت أحداثها في صورة فيلم سينمائي، يعدّ من أفضل الأفلام للسينما المصرية، تدور أحداث الرواية حول البطلة آمنة، التي عانت وواجهت التغيرات في حياتها، وتناول طه حسين خلال أحداث الرواية وإبراز شخصياتها اتجاهات مختلفة للمجتمع المصري، عندما ندقق النظر؛ نجد كأنه يصور لنا صورة بشعة للمجتمعات الأخرى، ونجد معظم ألوانها في مجتمعنا، فكأن معظم النسوة بصورة زهرة أو هنادي أو آمنة، وكذا نجد من الرجال صورة المهندس والخال ناصر. تناول طه حسين الاتجاهات المختلفة للمجتمع المصري وقضاياه من الجهل، والفقر، والظلم، وسلب الحقوق للطبقة العاملة، والفروق الطبقية في المجتمعات، وتخلف المجتمع في تعليم المرأة، على الرغم من أنها أساس المجتمع ونصفه، والثأر والانتقام في المجتمعات المتخلفة، والانحطاط الأخلاقي والتخلف الفكري في المجتمع المصري خصوصاً وفي المجتمعات الأخرى عموماً.

وفي الختام أشكر الله الأحد الصمد على نعمائه وآلائه، وأسأله أن يسهل لنا طريق الهداية السوي المستقيم، وصلى الله تبارك وتعالى على خير خلقه نبيه الأمي محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(الحواشي)

(١) الأدب العربي المعاصر في مصر، د. شوقي ضيف، ص: ٢٨١، دار المعارف بمصر- القاهرة، ط/ ٨، ٢٠٠٧ م، وطه حسين وزوال المجتمع التقليدي، د. عبد العزيز شرف، ص: ١٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/٢، ١٩٧٧م، والأيام، د. طه حسين، ١/ ٢٠، دار المعارف بمصر كورنيش النيل القاهرة، ط/ ١٣، ٢٠٠٣ م.

(٢) أعلام الأدب المعاصر في مصر، د. حمدي السكوت، د. مارسدن جونز، ص: ٣، دار الكتاب المصري القاهرة، ودار الكتاب اللبناني بيروت، ط/ ١، ١٩٨٢م.

(٣) الأدب العربي المعاصر في مصر، د. شوقي ضيف، ص: ٢٨٨.

(٤) طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، ص: ٢٧ – ٢٨.

(٥) مع طه حسين، سامي الكيالي، ص: ٣٨، دار المعارف للطباعة والنشر – القاهرة، ط/ ٣، ٢٠٢٠ م.

(٦) أحلام شهرزاد، طه حسين، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، ط/ ١، يناير، ٢٠١٧ م.

(٧) شجرة البؤس، طه حسين، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، ط/ ١، أغسطس، ٢٠١٢ م.

(٨) أديب، طه حسين، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، ط/ ١، يناير، ٢٠١٧ م.

(٩) رجل شرقي في باريس (صوت باريس)، طه حسين، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، ط/ ١، يناير، ٢٠١٧ م.

(١٠) الحب الضائع، طه حسين، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، ط/ ١، يناير، ٢٠١٧ م.

(١١) دعاء الكروان، طه حسين، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، ط/ ١، أغسطس، ٢٠١٢ م.

(١٢) الأدب العربي المعاصر في مصر، د. شوقي ضيف، ص: ٢٨١.

(١٣) أعلام الأدب المعاصر في مصر، د. حمدي السكوت، ص: ٣.

(١٤) الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، أنيس مقدسي، ص:٢٥٣، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، ط/٧، ٢٠٠٨ م.

(١٥) اتجاهات الرواية المعاصرة، د. السعيد الورقي، ص: ٤٥، دار المعرفة الجامعية – بيروت، ط/ ١، ١٩٩٨ م.

(١٦) دعاء الكروان، ص: ١٣ – ١٧، ٢٣ – ٢٧، ٩٥ – ٩٧.

(١٧) القومية العربية ثورة وبناء، أحمد سعيد، ص: ٥٥- ٥٦، الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، ط/١٢، ١٩٥٩م.

(١٨) دعاء الكروان، ص: ١٤ – ١٥، ١٠٥ – ١٠٧.

(١٩) القصة القصيرة في مصر ومحمود تيمور، حمزة محمد بوقري، ص:٢٠، مكتبة الدراسات، الرياض – السعودية، ط /١، ١٩٧٩م.

(٢٠) محمود تيمور وعالم الرواية في مصر، د. بياز خباز، ص:٢٢٨، دار الشرق بيروت – لبنان، ط/١، ١٩٩٤م.

(٢١) دعاء الكروان، ص: ١٣ – ١٧، ٤٦ – ٥٣، ١٠٣ – ١٠٩.

(٢٢) المعذبون في الأرض، طه حسين، شركة العربية للطباعة والنشر – القاهرة، ط/ ١، ١٩٥٨م.

(٢٣) الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية القصيرة، د. محمد الحسيني المرسي، دراسة في المضمون والبناء الفني، ص:٢٦٤، دار المعارف العربية – القاهرة، ١٩٨٣م.

(٢٤) دعاء الكروان، ص: ١٣ – ١٥، ٣٤ – ٣٩.

(٢٥) المرجع نفسه، ص: ١٥ – ١٨، ٢١- ٤٢، ٩٩ – ١٠٠، ١٣٠ – ١٣١.

(٢٦) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، د. فرانكلين، ترجمة: محمد خلف الله، ص: ٣-٥، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط/ ١، ١٩٥٦م.

(٢٧) دعاء الكروان، ص: ١٩ – ٢١، ٧٦ – ٧٧، ١٠٧ – ١١٤.

(٢٨) المرجع نفسه، ص: ٦١ – ٦٤، ٨٢ – ٨٣.

[٢٩] دراسات في الأدب العربي الحديث، محمد مصطفى هدارة، ص:٢٦٩، دار العلوم العربية، بيروت، ط/١، ١٩٩٤م.

[٣٠] دعاء الكروان، ص: ١٣ – ١٧، ٢١ – ٣٢، ١٠٢ – ١٠٨.

فهرس المصادر والمراجع

١. بوقري، حمزة محمد، القصة القصيرة في مصر ومحمود تيمور، مكتبة الدراسات، الرياض – السعودية، ط/١، ١٩٧٩م.

٢. حسين، د. طه، أحلام شهرزاد، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، ط/ ١، يناير، ٢٠١٧م.

٣. حسين، د. طه، أديب، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، ط/ ١، يناير، ٢٠١٧م.

٤. حسين، د. طه، الأيام، دار المعارف بمصر كورنيش النيل القاهرة، ط/ ١٣، ٢٠٠٣م.

٥. حسين، د. طه، الحب الضائع، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، ط/ ١، يناير، ٢٠١٧م.

٦. حسين، د. طه، دعاء الكروان، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، ط/ ١، أغسطس، ٢٠١٢م.

٧. حسين، د. طه، رجل شرقي في باريس (صوت باريس)، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، ط/ ١، يناير، ٢٠١٧م.

٨. حسين، د. طه، شجرة البؤس، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة – القاهرة، ط/ ١، أغسطس، ٢٠١٢م.

٩. حسين، د. طه، المعذبون في الأرض، شركة العربية للطباعة والنشر – القاهرة، ط/ ١، ١٩٥٨م.

١٠. خباز، د. بياز، محمود تيمور وعالم الرواية في مصر، دار الشرق بيروت – لبنان، ط/ ١، ١٩٩٤م.

١١. سعيد، أحمد، القومية العربية ثورة وبناء، الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع– القاهرة، ط/١٢، ١٩٥٩م.

١٢. السكوت، د. حمدي، أعلام الأدب المعاصر في مصر، دامارسدن جونز، دار الكتاب المصري القاهرة، ودار الكتاب اللبناني بيروت، ط/ ١، ١٩٨٢م.

١٣. شرف، د. عبد العزيز، طه حسين وزوال المجتمع التقليدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط/٢، ١٩٧٧م.

١٤. ضيف، د. شوقي، الأدب العربي المعاصر في مصر، دار المعارف بمصر– القاهرة، ط/ ٨، ٢٠٠٧م.

١٥. فرانكلين، الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة، ترجمة: محمد خلف الله، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط/ ١، ١٩٥٦م.

١٦. الكيالي، سامي، مع طه حسين، دار المعارف للطباعة والنشر – القاهرة، ط/ ٣، ٢٠٢٠م.

١٧. المرسي، د. محمد الحسيني، الاتجاهات الواقعية في القصة المصرية القصيرة، دراسة في المضمون والبناء الفني، دار المعارف العربية – القاهرة، ١٩٨٣م.

١٨. مقدسي، أنيس، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، ط/٧، ٢٠٠٨م.

١٩. هدارة، محمد مصطفى، دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العلوم العربية، بيروت، ط/١، ١٩٩٤م.

٢٠. الورقي، د. السعيد، اتجاهات الرواية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية – بيروت، ط/ ١، ١٩٩٨م.